كانت مُعظم المباني في تلك المناطق السّكنية من القش وفروع الأشجار، وما تزال هي مادّة البناء الأساسية في أحياء غرب القاش والبرنو حتى الوقت الحاضر. وقد ظهر في عام 1915 م أنّ المدينة كانت منظّمةً مع وجود بقايا الأسوار القديمة وتراجع الطّابع العسكري واستقرار الأمن، وأصبح يمتدّ حولها نطاقٌ أخضرٌ من الأشجار يُخفّف من حدّة الرّياح بدلًا من الأسوار التي احتاجت إليها مدينة كسلا في امتدادها عند بداية نشأتها.

انتعشت المدينة في فترة الحرب الإثيوبية الإيطالية بين عامي 1936م إلي 1939م، وبدأت تشهد بدايةً عُمرانيةً، وذلك بإنشاء قنطرة تصل بين شرقي وغربي خور القاش، حيث كانت تستخدم القوارب كوسيلةٍ للمواصلات قبل ذلك. وتمّ إنشاء حيّ «بانت» إلى الغرب من الخط الحديدي في هذه الفترة نفسها، وتشغل المناطق الزراعية في مدينة كسلا مِساحةً كبيرةً داخل حدود المدينة، وهذا وضعٌ تنفرد به كسلا عن سائر المُدن السّودانية.

***

مدينة مشكيلة

تقع قرية مُشكيلة في شمال السودان على بُعد حوالي 750 كيلومترٍ شمال العاصمة الخرطوم، وعلى بُعد حوالي 180 كيلومتر شمال مدينة دنقلا، وهي بأرض المحس مُحافظة وادي حلفا على ضفاف نهر النيل عند مُنحنى النهر شرق غرب بين قُرى «أردوان ودلقو»، واسم هذه المدينة مُركب من مقطعين، أولهما المقطع «مشة» وتعني الشمس، والمقطع الثاني «كيلة» وتعني النهاية، وبحسب الأساطير السودانية القديمة فمعناها نهاية الشمس، أو حد الشمس، أو آخر الشمس، ولا تقل مساحة القرية الطولية عن 20 كيلومترًا

تقريبًا، ولا يزيد عرضها على خمس كيلومترات عند أبعد نُقطة لوجود سلسلة جبلية بمُحاذاة القرية، ولذا سُميت بأرض الحجر.

***

مدينة طرابلس الليبية

تمتاز مدينة طرابلس أو «أويا» كما كانت تُسمى في الماضي البعيد بموقعها الساحلي الجميل على شاطئ البحر المتوسط، وقد احتضنت زُرقة البحر ووهج الشمس، الأمر الذي جعلها أحدى عرائس البحر المتوسط حيث تمتد سواحلها عشرات الكيلومترات غربًا وشرقًا، فلا غرابة في أن تحتل المكان المرموق بين جميع مُدن ليبيا، وأن تكون العاصمة الأولى للجماهيرية.

ومن أهم شوارع العاصمة الليبية شارع الفاتح من سبتمبر والذي يحتضن المدينة من طرفها الشرقي إلى طرفها الغربي، ويُشكل جُزءً من الطريق الساحلي الذي يربط مُدن ليبيا الواقعة على ذلك الشريط الساحلي، ويضم هذا الشارع مباني الإذاعتين المرئية والمسموعة، وكذلك مبنى أمانة اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة والتوجيه، ومجمع المحاكم وأمانة اللجنة الشعبية للمكتب الشعبي للاتصال الخارجي، والعديد من السفارات والبعثات الدبلوماسية العربية والأجنبية، ويضم هذا الشارع أيضًا مجموعة من الفنادق الضخمة التي تستقبل زوار الجماهيرية الليبية الرسميين، ففيه تمت استضافة وفود الدورة الخامسة والستين العادية

لوزراء خارجية منظمة الوحدة الإفريقية التي عُقدت في طرابلس من يوم 26 مارس حتى 28 مارس عام 1997م، والتي بلغت نحو 52 دولة إفريقية بالإضافة إلى 30 مُنظمة ووكالة مُتخصصة تابعة للأمم المُتحدة والوفود الإعلامية التي حضرت لتغطية وقائع المُؤتمر.

ويضم طريق الفاتح أيضا ميناء طرابلس ومحطة النقل البحري بالإضافة إلى مستشفى أمراض السكر والغدد الصماء ويمتد حتى يصل إلى مدخل المبنى الرئيسي لمُتحف السراي الحمراء عند الساحة الخضراء، الذي ينتهي عندها شارع الفاتح حيث نافورة ماء النهر الصناعي التي افتتحت مع احتفالات الجماهيرية الليبية بعيدها السابع والعشرين إيذانا بوصول مياه النهر إلى مدينة طرابلس، ويضم أيضًا بعض المقاهي والمطاعم السياحية بالإضافة إلى ميدان الغزالة وحديقة ومقهى الساحة الخضراء، وهي من أكبر حدائق مدينة طرابلس، وتحوي ساحات وملاعب للأطفال.

إذا توغلنا داخل طرابلس فسنجد مجموعة من الشوارع الكبيرة مثل شارع عُمر المُختار وشارع الرشيد وبهما أهم وأكبر المحلات التُجارية الخاصة بتجارة الجُملة للملابس والأحذية والزينة، ثُم شارع الجمهورية وهو من الأسواق التجارية المهمة وكذلك شارع التحدي الذي كان يُعرف سابقًا باسم شارع الاستقلال، ويوازيه شارع آخر يسمى شارع أول سبتمبر وبه مدرسة الفنون والصنايع الإسلامية، ويحتوي على متاجر لبيع الأشرطة المرئية والمسموعة والأدوات الكهربائية وأدوات الزينة ومحلات الملابس الجاهزة النسائية والرجالية. أما الطريق السريع والذي يُوازي طريق الفاتح ويمتاز بكثرة مداخله ومخارجه وجسوره وذلك من أجل الحد من ازدحام الطرق بالسيارات والمارة، فهو يمتد لمسافة 28 كم ويبدأ من منطقة تاجوراء وينتهي بمنطقة جنزور، ويعد المرحلة الأولى من الطريق الدائري الذي سوف يربط

مدينة طرابلس ببعض الضواحي المُحيطة بها، وقد استغرق بناء هذا الطريق ثلاث سنوات لأنه واجه بعض الصعوبات في تنفيذه بوجود أحياء سكنية أزيلت بكاملها وأعطي ساكنوها أراضي جديدة مُدعمة بمساهمات مالية تعويضًا لبيوتهم.

مبنى السراي الحمراء هو أبرز معالم مدينة طرابلس وهو معلم قديم يقع في نهاية طريق الفاتح أو الطريق الساحلي من الناحية القريبة للمدينة، ومن الثابت أن مُعظم المباني الموجودة داخل هذا السراي بُنيت في العهد العُثماني، وفي أثناء الاحتلال الإيطالي (1911 ـ 1952 م)، وتم إدخال بعض التعديلات والترميمات على السراي الحمراء أو قلعة طرابلس، واستخدمت الحكومة الإيطالية جُزءً من هذه القلعة مقرًا للحاكم الإيطالي العام، وفي عام 1922م خصص جُزءً آخر من القلعة لإقامة مُتحف تاريخي يضم الآثار التي اكتشفت في منطقة طرابلس أو «أويا» القديمة، ومُنذ أن استقلت ليبيا عام 1952 تم بناء عدة متاحف داخل القلعة، هي مُتحف الآثار الكلاسيكية، ومُتحف ما قبل التاريخ، ومُتحف العاديات والأزياء الشعبية، وهذه المتاحف يوجد بها الكثير من الآثار العائدة إلى مختلف العهود التي مرت على ليبيا... وجوار السراي الحمراء يقع الجزء القديم من المدينة، ويضم سوقًا مسقوفًا يُعرف باسم «سوق المُشير أو سُوق التُرك» وهو من أقدم أسواق المدينة، وقد أشاد به الرحالة وزوار طرابلس واعتبروه سجلًا حيًا لمُختلف العصور القديمة التي مرت على مدينة طرابلس.

وتحاول الجماهيرية إعادة ترميم المباني القديمة والأثرية بالمدينة وإبرازها كتراث ليبي قديم واستخدامها كمكتبات مُتخصصة أو صالات فنون جميلة، ومن أمثلة هذه المباني، مبنى القنصلية الإنجليزية التي يرجع تاريخها

إلى عام 1744م أيام حُكم أحمد باشا الفرمانلي مُؤسس الدولة الفرمانلية وقد استخدمه الإنجليز كقنصلية، ومنها انطلقت الرحلات الجغرافية الاستكشافية لإفريقيا والتي كان ظاهرها علميًا وباطنها استعماريًا.

الناحية الشرقية من المدينة تمتاز بوجود مجموعة كبيرة من المباني الحديثة ذات الطوابق المُتعددة، والتي تُستخدم إما للسكن أو مباني استثمارية، ومن هذه المباني الفخمة «برج الفاتح» وهو مبنى تجاري ضخم يضم مكاتب استثمارية، وهو شاهد على ما يحدث في مدينة طرابلس من نهضة معمارية وهندسية متطورة، كما ويُعد هذا البرج أعلى مبنى في طرابلس، ومن أعلى نقطة في المبنى يستطيع المرء أن يرى مدينة طرابلس بكل وضوح، ويحوى البرج محلات تجارية وأسواقا مجمعة وعيادات ومكاتب سياحية وفندقا وأحواض سباحة.

ومن المباني المُميزة في منطقة باب البحر عمارات ذات العماد وهي تابعة لجمعية الدعوة الإسلامية وقد افتتحت مُنذ عام 1988م، ويعود ريع هذه العمارات لخدمة وتعميق الإسلام في دول إفريقيا والعالم الثالث، وتستغل أمـوال هذه المباني في إقامة المشاريع الخيرية من مستشفيات ومساجد ومـدارس، وتتألف هـذه المباني من مكاتب تجارية وبعض السفارات والقنصليات ومكاتب الخطوط الجوية ومطاعم وأماكن سياحية وصالات للمعارض والمُؤتمرات والندوات، وتضم مواقف للسيارات، ويبلغ عدد تلك المباني أربعة على شكل زجاجات مقلوبة،

وقد بُنيت بطريقة هندسية فريدة بحيث إذا نظر إليها الإنسان من أعلى وفي أي اتجاه يراها ثلاث عمارات فقط، واحتفالًا بوصول مياه النهر الصناعي إلى مدينة طرابلس أقيمت وسط المدينة نافورة أطلق عليها نافورة النهر الصناعي العظيم استقبلت مياهها لحظة الضغط على زر التدفق حيث اندفعت من خلالها مياه النافورة مُعلنة بداية مقدم الحياة والنماء والأمل إلى مدينة طرابلس، وقد صممت النافورة على شكل هندسي بثمانية أضلاع واحتوت على ثمانية أنابيب مُماثلة لتلك المُستخدمة في النهر الصناعي.

يُعد ميناء طرابلس أحد أكبر الموانئ في الجماهيرية ومن أعرقها، بل واحدًا من الموانئ الكُبرى في منطقة شمال إفريقيا المُطلة على القسم الجنوبي من ساحل البحر المتوسط، والميناء يتوفر على مساحة مائية تبلغ 5500 متر مُربع، ويحوي 35 رصيفًا بأطول من 3 إلى 4 آلاف متر، أما أعماق الميناء فتتراوح من 9 إلى 12 مترًا وهو عُمق الغاطس.

وميناء طرابلس البحري يُقدم خدماته على مدار الساعة للسفن القادمة والمغادرة، وبه من المعدات البرية والبحرية ما يمكنه من تقديم الخدمة الجيدة وبكفاءة عالية، وحركة البضائع في ميناء طرابلس في حدود 3 ملايين طن سنويًا من مختلف البضائع من حبوب وبضائع عامة وحاويات وحيوانات حية، حيث يبلغ متوسط السفن الوافدة على الميناء في حدود 1850 سفينة سنويًا، ويأتي هذا الميناء في المرتبة الأولى بين موانئ الجماهيرية البالغ عددها ثمانية موانئ تُجارية، وميناء طرابلس مُرتبط ارتباطًا مُباشرًا بها، وبخاصة موانئ الساحل الشمالي للبحر المتوسط، ونتيجة للحصار المفروض على ليبيا فقد ازدادت الحاجة إلى خدماته، وبخاصة حركة الرُكاب المُسافرين بواسطة السُفن إلى الموانئ المختلفة للبحر الأبيض المتوسط كما أن هناك

تزايدا في حركة الشحن والتفريغ حيث لا يُوجد نقل جوي للبضائع أو البريد. ومن الشركات التي لها اتصال مباشر بالبحر ومرافق الميناء الشركة الوطنية للنقل البحري، ومهمتها الرئيسية والأولى النقل البحري والمُبادلات التجارية، وربط الجماهيرية بالموانئ المُختلفة وبقية دول العالم، فهي تمتلك أسطولًا يصل عدد سُفنه إلى 27 سفينة وناقلة نفط، وهي تقوم بنقل النفط والغاز والمُشتقات البترولية ونقل البضائع إلى أنحاء العالم بالإضافة إلى نقل الركاب...

تُعد جامعة الفاتح في مدينة طرابلس من أقدم المُؤسسات العلمية في ليبيا فحتى عام 1971م كان عدد الطلبة الجامعيين في ليبيا لا يتعدى ثلاثة آلاف طالب، وكانت هناك جامعة واحدة تسمى الجامعة الليبية مُقسمة إلى حرمين جامعيين أحدهما في مدينة بنغازي والآخر في مدينة طرابلس، وقد حظيت مدينة طرابلس بالكُليات العلمية مثل كُلية الهندسة والزراعة والعلوم، أما الحرم الجامعي في بنغازي فقد اختص بالدراسات الإنسانية مثل الآداب والاقتصاد والحقوق، وفي عام 1973م ونظرًا لازدياد عدد الطلبة تم فصل الحرم الجامعي الموجود في بنغازي عن شقيقة في مدينة طرابلس، ومُنذ ذلك الوقت تأسست جامعة الفاتح والتي تضم الآن عشر كُليات وهى كُبرى الجامعات في الجماهيرية حيث يصل عدد طلابها إلى ما يقرب من 45 ألف طالب وطالبة، وعدد أعضاء هيئة التدريس الوطنيين في جامعة الفاتح يُقارب 1100 عضو مُعظمهم من الحاصلين على درجة الدكتوراه من جامعات مرموقة في العالم وبشكل خاص من الجامعات الأمريكية والأوربية، بالإضافة إلى عدد من الأساتذة الوافدين من مختلف الأقطار العربية، وهناك نحو 400 أستاذ من غير العرب، وجامعة الفاتح مُهتمة بالدراسات العُليا، وتُعطي درجات الماجستير والدكتوراه، وهُناك

مُصطلح خاص يُطلق على درجة الدكتوراه واسمه الإجازة الدقيقة، أما الماجستير فيطلق عليه الإجازة العالمية، وتتألف الجامعة من عشر كُليات وتُعتبر كلية العلوم أقدمها أما أحدث الكليات فهي كلية القانون، وهناك اتجاه لضم بعض التخصصات الجامعية في كلية واحدة لتقليص الأعباء الإدارية وزيادة الكفاءة، والجامعة تقدم خدماتها للطلاب الليبيين بالمجان، أما بالنسبة للعرب فيتم التعاون وفقًا لقاعدة التعامل بالمثل، ويدرس بالجامعة عدد من الطلبة الوافدين بعضهم على المنح الدراسية من اللجنة الشعبية للتعليم، وتقوم الجامعة بتسكين عدد كبير من الطلبة في الأقسام الداخلية، ونتيجة للتطور الاجتماعي الذي حدث بعد ثورة الفاتح فإن عدد الطلاب الذكور المسجلين بالجامعة يتقارب مع عدد الطالبات، وهذه الظاهرة لم تكن موجودة قبل الثورة، كما أن هناك مجموعة من الإناث يقمن بالتدريس في مُختلف التخصصات.

لجامعة الفاتح عدة مراكز بحثية، ففي كلية العلوم توجد معشبة تحوي كل الأصناف النباتية التي تم دراستها في ليبيا والتي تغطي الجماهيرية من أقصاها إلى أدناها، ومحطة بحثية أخرى تتبع كلية الزراعة مساحتها تزيد على 50 هكتارًا تُجرى فيها أبحاث عن السُلالات والأنواع الحيوانية والمحاصيل الحقلية والخضراوات والفواكه، أما كُلية الهندسة فقد شاركت في الكثير من البحوث الهندسية عن الطرق والموانئ والمطارات ودراسات أخرى عن مواد البناء التي تصلح لجو ليبيا، ويُعد قسم الهندسة المدنية من أكبر الأقسام الموجودة في المنطقة وبه 65 أستاذًا ليبيًا من حملة الدكتوراه وعدد آخر بدرجة أستاذ وأستاذ مشارك، أما جامعة الفاتح للعلوم الطبية ومقرها طرابلس فتتبعها ست كُليات بها ثلاث كُليات هي كُلية الطب البشري وكلية الصيدلة وكلية طب الأسنان وكلها تقع في مدينة طرابلس وإدارتها مُنفصلة عن إدارة

جامعة طرابلس، أما الكُليات الثلاث الأخرى فتقع خارج العاصمة، ومن المرافق الطبية التي تفخر الجماهيرية الليبية بها مركز طرابلس الطبي وقد افتتح هذا المركز منذ عام تقريبًا، ويعد من الإنجازات المتقدمة في مجال تقديم الخدمات الطبية، بالإضافة إلى أنه مركز تعليمي متقدم لتدريب وتأهيل الكوادر الطبية والطبية المساعدة والبحوث الصحية، ويقع هذا المركز في المدخل الشرقي لمدينة طرابلس، وتُقدر مساحته الكُلية بنحو 280 ألف متر مُربع.

وهذا المركز يحل جميع المشاكل الطبية المُعقدة وبخاصة تلك الأمراض التي كانت الحالات المصابة بها تُوفد للعلاج في الخارج، علاوة على أنه قلعة طبية تعليمية لتدريس الكوادر الطبية المساعدة والعليا في الجماهيرية، ولقد جُهز هذا المركز تجهيزًا عاليًا بأحدث الأجهزة الطبية الموجودة في العالم، وهو يشمل جميع التخصصات الطبية التي تحتاج إليها الجماهيرية، ويحوي المعامل الطبية، وأقسام العلاج الطبيعي والمُختبرات، ومصنعًا مُتكاملًا للغازات الطبية، ومصنعًا للمحاليل الوريدية، والمركز مدينة طبية مُتكاملة تشمل مساكن للأطباء والهيئة الطبية المساعدة، وهذا المركز يُعد من المرافق الصحية التي يعول عليها الكثير في تدريب طلبة وطالبات كُلية الطب لجامعة الفاتح، وكذلك الفئات الفنية المتوسطة.

***

مدينة بنغازي

تقعُ مدينة بنغازي على الجزء الشّرقي من خليج سرت، وتُعتبر ثاني أكبر مُدن ليبيا بعد طرابلس، ومركزًا تجاريًا مهمًا.

المدينة بحدّ ذاتها لا تحتوي على الكثير من الآثار، حيث إنّها دُمّرت خلال الحرب العالميّة الثّانية وأعيد بناؤها. ومع ذلك تُعتبر بنغازي مركزًا جميلًا لاستكشاف منطقة الجبل الأخضر والآثار الرّومانية المُنتشرة على طـول السّاحل. ومدينة بنغازي صديقة المَشي، حيث يُمكنك التّجول فيها على الأقدام بسهولةٍ، فأسواقها المغطّاة مفتوحة يوميًا، لكن يُستحسن زيارتها يوم الجمعة، حيث تتحوّل المدينة إلى سوقٍ كبيرٍ مليءٍ بالحياة. ويُعتبر سُوق الجريد الواقع على شارع عُمر المُختار أكبر سوقٍ شعبيٍ بالمدينة تُباع به جميع البضائع من ملابس إلى موادٍ وسلعٍ منزليّةٍ.

عُرِفَت بنغازي عبر تاريخها الطّويل بعدّة أسماءٍ، من بينها «يوسبريدس»، وهي من أوائل المُدُن اليونانية القديمة. وأُسِّسَت في الرّبع الأول من القرن السادس ق.م وشُيِّدَت على مُرتفعٍ من الأرض، عند الطّرف الشّمالي لسبخة السّلماني، حيث توجد حاليا مقبرة سيدي عبيد. وكانت هذه السّبخة عبارة عن بُحيرةٍ عميقةٍ تكفي لاستقبال المراكب الشّراعية الصّغيرة. وقد عُثِرَ فيها على مجموعةٍ من الأواني الفخّارية، كما اكتُشِفَت بهذا المكان عِدّة أماكن أثريةٍ مُهمّةٍ.

أما في العصر البطلمي فلقد تغير اسم المدينة إلى «برنكي»، وكان ذلك حوالي عام 247 ق. م، وأُطلِقَ هذا الاسم تكريمًا لزوجة بطليموس الثّالث بمُناسبة زواجها منه، وظلّ هذا الاسم شائعًا في العصور اللاّحقة. وفي الفترة

الإسلاميّة، أُطلِقَ عليها اسم «برنيق»، ثُمّ سُمّيَت فيما بعد «بنغازي» نسبةً إلى الشّيخ المدفون في مقبرةٍ هُناك، وظلّت تُعرَف بهذا الاسم مُنذ القرن 15م.

***

مصراتة

يُرجّح البعض أنّ مصراتة قد نشأت في مكان محطّة توباكتس القديمة التّي كانت مُزدهرةً، وفي العصور الوسطي كان لمصراتة علاقات تُجارية مع البُندقية، حيث كانت تُصدّر إليها الصّوف والسّجاد والزّيت والملح، وتستورد منها الزّجاج والبارود، كما إنّها كانت محطّةً مُهمّةً لمرور القوافل التُجارية القادمة من أواسط إفريقيا والصحراء الكُبرى والمُتجهة إلى مدينة طرابلس، وكذلك كانت نُقطةَ استراحةٍ للحُجّاج والتُّجّار والرّحالة القادمين من الشّرق والغرب، ويدلّ على ذلك وُرود اسمها في كثيرٍ من كتب الرّحالة، وهي ثاني أكبر مُدن إقليم طرابلس الغرب اللّيبي، كما تقع في منطقةٍ زراعيةٍ سهليّةٍ، وتتميّز بظاهرةٍ طوبوغرافيّةٍ فريدةٍ على السّاحل اللّيبي وكامل السّاحل المُتوسّطي، وهذه الظّاهرة هي وجود حزام من الكُثبان الرّملية العالية التي تلفّها على هيئة هلالٍ، ويبدأ من شرقها عند منطقة قصر أحمد وحتّى منطقة الدافنيّة غربًا، وتُعدّ هذه الكُثبان الأعلى في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسّط، بل يُعتقد أنّها الأعلى في العالم.

مصراتة اليوم مدينةٌ عصريةٌ حديثةٌ تزدان بعمائرها وشوارعها المُخطّطة وحدائقها ومصائفها وأسواقها الرّائجة، كما إنّها تُعَدّ المدينة الصّناعية والتّجارية الأكثر نشاطًا في ليبيا من خلال مُلاحظة الإحصاءات لتمركز مراكز الصّناعة الخفيفة منها والثقيلة فيها، إضافةً إلى وجود ميناءين فيها، كما

أُقيمت بها عدد من الفنادق الحديثة، ومن الإنجازات الصناعية التي أقامتها الجماهيرية الليبية نتيجة ارتفاع موارد البترول في منتصف السبعينيات، إنشاء الشركة الليبية للحديد والصلب بمصراته بهدف اقتحام منافذ الصناعات الاستراتيجية والثقيلة، وكسر احتكار مثل هذه الصناعات، ثم بناء قاعدة صناعية ضخمة تكفي الاحتياجات المحلية وتصدر الفائض منها للسوق العربية أو الأسواق العالمية الأخرى، بالإضافة إلى إقامة صناعات تكميلية من مُنتجات هذه الشركة وخلق جيل من الصناعيين والفنيين المهرة يساهمون في إقامة نهضة صناعية مُتقدمة، ومُجمع الحديد والصُلب لا يبعد أكثر من 175 كيلومترًا عن مدينة طرابلس، وبدأ إنتاجه مع نهاية عام 1989م، ويشق إنتاجه من الحديد طريقه إلى الأسواق المحلية مُرسيًا بذلك قواعد للتصنيع الثقيل بالجماهيرية الليبية. أما الطاقة الإنتاجية لهذا المُجمع فتبلغ مليون و324 ألف طن من الحديد الصلب سنويًا يتم الحصول عليها بطريقة الاختزال المُباشر لمكورات الحديد، وباستخدام الغاز الطبيعي، وأهم مُنتجات الشركة هي القضبان والأسياخ والقطاعات الخفيفة والمتوسطة ثم اللفات والصفائح المدرفلة على الساخن واللفات والصفائح المدرفلة على البارد.

وهُناك العديد من الصناعات التي يُغذيها مُجمع الحديد والصلب كصناعة السفن والقطارات والسيارات ومُنتجات الأسلاك والأثاث المعدني إلى غيرها من الصناعات التكميلية الأخرى، ووفر مُجمع الحديد والصلب نحو 6 آلاف عامل فني ليبي يُتقنون صناعة الحديد والصُلب، وأخيرًا فإن صناعة الحديد والصلب والصناعات عمومًا ليست حِكرًا على بلاد مُعينة.

***

مدينة طلميثة

تقع مدينة طلميثة الليبية، أو بطوليماس الدّرسية حاليًا في بُقعةٍ تحظى بالهدوء وجمال الطّبيعة، بين البحر ومرتفعات الجبل الأخضر، وهي تبعدُ عن مدينة المرج (بَرقَة) بنحو 29 كيلومترٍ شرقًا. وتتميّز هذه المدينة بكثرة معالمها الأثريّة التي تعود إلى عهودٍ مُختلفةٍ من التّاريخ. ويعود سبب إنشاء مدينة الدّرسية إلى حاجة مدينة بَرقة (المرج) إلى ميناءٍ تستطيع من خلاله الاتصال بالعالم الخارجي بحرًا، وبخاصّةً وإنّ مدينة المرج قد بدأت في الازدهار في أواخر القرن السّادس ق.م، وصارت مُنذ ذلك التّاريخ مركزًا تُجاريًا مُهمًا، ومن هُنا جاءت أهميّة إنشاء ميناءٍ خاصٍ بتلك المدينة، تستطيع عبره تصدير حاصلات المنطقة التّي كان من بينها نَبات السّلفيوم الشّهير، كما تُشير المصادر القديمة إلى وجود ميناءٍ بموقع الدّرسيّة، باسم «ميناء مدينة برقة»، ويرى بعض العُلماء أنّ عهد بطليموس الثّالث (246 ـ 221 ق.م) هو العهد المُرجّح لتأسيس هذه المدينة، وذلك بعد زواجه من برنيفي، أميرة مدينة «قورينا»، وقد ازدهرت المدينة زمن البطالمة والرّومان، وامتلكت أسطولًا بحريًا احتلّ مكانةً مرموقةً بين أساطيل البحر الأبيض المتوسّط، وازداد سُكانها في العهد البطلمي، وأصبحت عاصمة المنطقة خلال القرنين الرّابع والخامس. وعندما جاءها العرب عام 642م، وحافظت المدينة على أهمّيتها كموقعٍ عسكري حصينٍ وميناءٍ تجاري تربطه علاقاتٌ تجاريّةٌ متينةٌ بعدّة موانئ، وبخاصّة ميناء الإسكندرية الذّي كان يبعث بالسُفن مُحمّلةً بالقُماش إلى ميناء الدّرسية لتعود بكميّاتٍ من حاصلات الإقليم، كالعسل والسمن والحبوب، ومن أشهر آثار المدينة مدافن البطالمة وشبكة إمدادات المياه والنّقوش الكتابية

على ألواحٍ من الرُخام التّي تُسجل أهم الأحداث التاريخية التّي مرّت بها المدينة فضلًا عن نقشٍ يُبيّن تعريفة الأسعار الصّادرة في عهد الإمبراطور دقلديانوس (248 ـ 305).

***

مدينة صبراتة

تقع مدينة صبراتة التاريخية على بُعد 67 كم غرب العاصمة اللّيبية طرابلس، على ساحل البحر الأبيض المتوسّط، وسط وشاحٍ أخضر تلتقي عنده نهايات سهل جفارة الفاصل بين حواف الجبل الغربي ومياه المتوسّط، وعلى بُعد كيلومترٍ واحدٍ من شوارع المدينة، ويوجد بها آثار فينيقيّة رّومانية، ومدافن فينيقية بأعمدة من المرمر، ومسرح كبير مفتوح تم ترميمه، ورصف ممرّاته.

والأضرحة الفينيقيّة تتجاورُ مع الآثار الرّومانية الهائلة المُتجهّمة التي تحملُ الكثير من قسمات الرّومان أنفسهم، ويُخبرنا موقع المدينة السّاحر والإستراتيجي بمدى حنكة مُؤسّسيها الفينيقيّن وشاعريّتهم.

وليس ثمّة اتّفاق بين المُؤرّخين على تحديدٍ دقيقٍ لتاريخ تأسيس مدينة صبراته، وإن كان البعضُ يرجّح أن تكون أُسِّسَت في القرن السّادس قبل الميلاد، ويُؤيد هذا الكلام الحفريات التّي أُجريَت حديثًا بمدينة صبرات، حيث وُجِدَت بها آثار فينيقيّةٌ تتمثّل في مصاطب رمليةٍ كان الفينيقيّون يُقيمون فوقها أكواخًا مُؤقّتةً لفترةٍ قصيرةٍ من العام. وأثناء الحفريّات، وُجِدَت فوق

المصاطب طبقاتٌ سميكةٌ من الرّمال. وهذا دليل على أنّ الموقع ظلّ مهجورًا لفترةٍ زمنيّةٍ طويلةٍ. وفي تلك الأكواخ، وُجِدَت أواني يُونانيّةٌ ترجع للقرنين السّادس والخامس قبل الميلاد.

وعلى جانب المدينة الفينيقيّة بُنِيَت المدينة الرّومانية بمسرحها الفخم وبيوتها العالية وأعمدتها وأقواسها. وشكّلت هذه المدينة أحد أهمّ المراكز التّجارية على السّاحل الإفريقي لحوض البحر الأبيض المتوسّط، وإحدى المُدن الثّلاث التّي سُمّيَ بها إقليم طرابلس، وهي: لبدة الكُبرى، وأويا (طرابلس الحاليّة)، وصبراتة، ومن هذه الحواضر الفينيقيّة الشّقيقات الثلاث سُمّيَ الإقليم كُلّه طرابلس.

أمّا بالنّسبة للتّسمية فقد وُجِدَ اسم المدينة بصيغة «صبرات» على العملة البونيقيّة الحديثة، وأحيانًا «صبراتن»، وتَعني هذه العبارة «سوق الحبوب»، لذا يُرجّح بعض المؤرّخين أنّ المدينة كانت تلعب دورًا كبيرًا في المُبادلات التّجارية بين شرق وشمال المتوسّط من جهةٍ وتُجّار محاصيل المنطقة الطّرابلسية، وحتّى الجبل الغربي (جبل نفوسة) وغدامس من جهةٍ أخرى. وإن كان المُؤرخ فيليب وارد يرى أنّ يونان جزيرة صقلّية هُم مَن كانوا يُصدّرون الحبوب لصبراتة لا العكس.

وقد ذكر وبلينيوس الأكبر في كتابه «التّاريخ الطّبيعي» وكذلك بطليموس في كتابه «الجغرافيا» أن اسم صبراتة أُطلِقَ لتحديد منطقتين: الأولى بالدّاخل، وكانت تدفع الضرائب للثّانية السّاحلية، والمصادر التّاريخية تذكر وجود آثار

رومانيّة بالقرب من الجوش القائمة في عُمق البرّ. وهذا دليلٌ على سابق وجود مدينةٍ مُهمّةٍ، والمصادر التّاريخية نفسها تُسمّي هذه المدينة صابريّة، وهو يُشبه اسم المدينة السّاحلية «صبراته» التّي نتحدّث عنها هُنا.

وإذا رجعنا مع التّاريخ نجد أنّ بداية تأسيس المدينة مُرتبط بموجة الاكتساح الحضاري الفينيقيّ لسواحل حوض البحر المتوسط. وربّما يكون من الضّروري أن نُشير في هذا المقام إلى أن الفينيقيّين هؤلاء هم شعب سام، كان يتركّز أساسًا ببلاد الشّام. وقد مهروا في الملاحة البحرية والتّجارة، وكانوا شعبًا وديعًا مُسالمًا، وهم مَن بنى صور وصيدا وغيرهما من حواضر بلاد الشّام. كما أسّسوا مراكز حضريّة في جُزر المتوسط، ووصلوا أسبانيا وبريطانيا. وكانوا يمرّون بمحاذاة شواطئ شمال إفريقيا ليتمكّنوا من اللّجوء إليها في حالة هبوب العواصف العاتية، ومع مرور الوقت أسّسوا عددًا كبيرًا من المُدُن على هذه الشّواطئ الإفريقية الشّمالية، وكان أبرز هذه المُدن: قرطاج، والمُدن الطّرابلسية، وجزيرة قرقنة بتونس، وقابس، وحضرموت (سوسة بتونس الآن)، وهيبو رحبيس (عنابة).. وغيرها. وهكذا نلاحظ أنّ الفينيقيّين لم يؤسّسوا هذه المحطّات فحسب، بل إنّهم أقاموا العديد منها. وكان غالبها مجرّد محطاتٍ صغيرةٍ تُقام على الشاطئ في كُل 30 كيلومتر تقريبًا، وذلك خوفًا من الابتعاد عن السّواحل، ولكيّ يستريحوا من تعب السّفر ويتزوّدوا بالطّعام والماء ويستطيعوا إصلاح سُفُنهم إن أصابها عطل. وقد لعبت تلك المحطّات، التّي أُنشئت لأغراض سوقيّة وتجارية، دور الوطن البديل الذّي هاجرت إليه موجاتٌ من الفينيقيّين بعدما اشتدّ ضغط الآشوريين في وطنهم الأصلي، حيث قام مُهاجرون من صيدا بالاستيطان نهائيًا بالإقليم الطّرابلسي، ولحق بهم آخرون من صور.

يُخبرنا الشّاعر اللاّتيني سيليوس ايتاليكوس أنّ مدينة صور ومُهاجريها هُم مَن أنشأوا مدينتي لبدة وصبراته، ولكنّ مَن قام بإنشاء مدينة أويا (طرابلس) هُم مهاجرون من صقلّية، من أصلٍ فينيقيٍّ. أمّا المؤرّخ سالوستيوس كرسبيوس 34ـ86) ق.م) الذي كان ينتمي لأسرةٍ من العامّة، وشغل منصب بروقنصل لإفريقيا الجديدة في عهد قيصر، فقد قال إنّ مهاجرين من صيدا هُم مَن أنشأ لبدة، وعند مقارنتنا لرأي الكاتبين، يتبيّن أنّ الكُتّاب اللاّتين كانوا يخلطون في كتاباتهم بين مدينتي صيدا وصور. وفي كلتا الحالتين، فإنّ المقصود هو أنّ صبراته والمُدن الطّرابلسية قد أسّسها واستقرّ بها الفينيقيّون أوّلًا.

وعلى أيّة حالٍ، فإنّ مدينة صبراته لم تبلغ أوج ازدهارها إلاّ بعدما بسطت عليها قرطاجة سيطرتها، إثر تدخّلها لطرد اليونانيين الذّين حاولوا، بقيادة دوريوس، بناء مستوطنةٍ باقليم غرب ليبيا عند مصبّ وادي كنبس (وادي كعام). وظلّت المدينة قرطاجية مع نوعٍ من الحُكم الذّاتي حتى تمكّن الرّومان من تدمير قرطاج وإحراقها نهائيًا في نهاية الحروب البونيقية عام 146 ق.م، لينتهي بذلك حلم فينيقيّ بدأته مُؤَسِّسة قرطاجة أليسار، شقيقة الملك الصّوري بجماليون.

أمّا على مستوى الحياة الرّوحية، فقد كانت تسود صبراته الدّيانات الشرقية التي استقدمها الفينيقيّون والمُتميّزة بتعدُّد الآلهة الأسطوريّة، وفي مقدّمة تلك الآلهة، الإلهة «تانيت بينبعل» التّي هي في الأصل الألهة «أسطرطة» إلهة القمر عند الفينيقييّن بمدينة صور. وكانت بمثابة الإلهة «هيرا»، زوجة الإله زيوس عند اليونان، وفي مقام الإلهة «يونوسيليستس» زوجة الإله جوبيتر عند الرّومان.

يعتقد أحمد صقر، في كتابه «مدينة المغرب العربي في التّاريخ»، أنّ تانيت بينبعل كانت تُعبَد كإلهة للبذر والحصاد والتّناسل، ويُستغاث بها عند الولادة. وقد دلّت الحفريات التّي أُجرِيَت بمنطقة رأس المنفاخ بمدينة صبراته في الفترة من 1974م إلي 1975 م، أنّ الإلهة تانيت هي المعبود الرّئيسي بالمدينة القديمة، حيث أنّ مُعظم الأحجار النّذرية التي وُجدَت بالمقبرة البونيقية، تحتوي على عظام الأطفال المحروقين والمُقدّمين قُربانًا للإله «بَعل»، ومن بين الأدلّة التي تُبَيّن عادةُ التّضحية بالأطفال تلك الصّورة المنحوتة على النُصب التّذكاري الموجود بتونس والذّي يُمثّل كاهنًا يرتدي جُبّة شفّافة وهو يرفع يديه مُبتهلًا ومتضرعًا إلى المعبود «بعل» ومُقدّمًا له القرابين.

وقد اصطلح عُلماء الآثار على تسمية الجِرار والمدافن التي تحوي عظام أطفالٍ محروقةٍ كقرابين فينيقيا باسم «توفيت»، ويُؤكّد مثل هذه العبادة المؤرّخ اليوناني القديم بلوتارخ (45 ـ125 م) الذي يقول إنّ «المؤمنين الحقيقيّين كانوا لا يتردّدون في تقديم أطفالهم كقرابين على مذبح الآلهة.

أمّا الأغنياء ذوو العقلية الواقعيّة، فقد كانوا يُقدّمون للآلهة صغار الرّقيق أو يشترون أبناء الفقراء ويستعيضون بهم عن أبنائهم كقرابين».

استُعيضَ لاحقًا عن تقديم قرابين بشريّةٍ بقرابين من الماعز والماشية، والدّليل على ذلك أنّ الأواني الفُخارية التي اكتشفت برأس المنفاخ بصبراتة كانت ملأى بعظام ماشيةٍ محروقةٍ. وقد أيّدت هذا الكلام الحفريات الأثرية وكذلك النّقوش التي وُجِدَت على الأنصاب الرّومانية في نقاوس، حيث يقول النّقش: «روح بروحٍ ودم بدمٍ وحياة بحياةٍ»، وهذه العبادة تعني أنّ الإله «بَعل» قد قبل التّعويض عن حياة البشر بحياة الحيوان، كما تُعدّ دليلًا على أنّ الديّانة التّوحيدية قد عرفت طريقها إلى الفينيقيين في آخر عهودهم أيضًا.

حين بَسَط الرّومان سيطرتهم على المدينة، بالغوا في بناء مبانٍ ضخمةٍ، مازال بعضها قائمًا حتّى الآن بصبراتة، كالمسرح، ومعبد الفورم، والأقواس الفخمة التي تُذكّر بقوس ماركس أورلـيـوس بطرابلس. وعرفت المدينة ازدهارًا شديدًا على المستويين الفكري والتّجاري، وقد سَجّلت لنا وثيقةٌ الصّراعات الفكرية بين رومان صبراته في كتاب المُطارحات الشّهير:

«دفاع صبراته»، فحين وصل الفاتحون أبواب صبراته، فتحت لهم ذراعيها بكلّ حُب. وتُحدِّثُنا كتب المغازي بأنّ أهالي هذه المدينة فتحوها للمُسلمين صُلحًا من دُون قتال، ورُبّما لأن الأرض تحنّ إلى أهلها، فهذه المدينة العربية الفينيقية رأت في الفتح الإسلامي عودةً إلى الأصل وخلاصًا من براثن الرّومان.

بعد عدّة قرونٍ من صراعات دول شمال إفريقيا الإسلامية، أصاب المدينة تهميشًا، فبعدما نهضت مُدن أخرى في الدّواخل كانت أكثر أمنًا وأبعد عن طارقي البحر وغزاته ومُغامريه، فتآكل الكثير من أحياء المدينة وحلّ بالبعض الآخر الخراب، وذلك لطبيعة المواد التي استُعملَت في البناء، ومُعظمها من الحجر الجيري المُغطّى بطبقةٍ من الجبس (السّتوكو)، فكانت طبقة الجبس تتآكل مع الزّمن لتنهار ومعها المباني، ويتحول الكُلّ إلى أكوامٍ من الحجارة والأعمدة المنهارة

أو المتصدّعة. وقد ذكر الرّحالة اليعقوبي، في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، أنّه مرّ بصبراته، وأنّ بها مباني وتماثيل فخمةٍ. أمّا التيجاني فقد مرّ بها في القرن الرّابع عشر ووصف أعمدة الرّخام والمباني بقوله: «وبهذه المدينة آثار قديمة وأعمدة مُرتفعة من الرُّخام قائمة إلى الآن لا بناء يكنفها، وَوُجِدَت ساريتان منها متجاورتان على شكلٍ واحدٍ، وكلّ واحدةٍ مؤلّفةٍ من أربع قطعٍ في غاية الفخامة والارتفاع وحُسن الصُّنع».

كما وَصَف آثار صبراتة الكثير من الرّحالة الأوروبيّين في القرن التّاسع عشر مثل «بارت» الذي تحدّث عن المسرح والأعمدة والأقواس. وقد رأى أيضًا رصيف الميناء وتمثالين من الرُخام، أحدهما لامرأةٍ ذات جسمٍ متناسقٍ. كما وصفها الرّحالة «فون مالتزان» ووصف المسرح الدائريّ والتّماثيل والميناء وبعض الأبنية البيزنطيّة المُتأخّرة. ومع الاحتلال الإيطالي لليبيا عام 1911م، قرّرت الحكومة الإيطالية تكليف بعثةٍ من كبار المؤرّخين وعُلماء الآثار بالبحث عن الآثار الرّومانية بصبراتة وغيرها من المُدن اللّيبية. وبدأت الحفائر المُكثّفة بصبراتة مُنذ عام 1923م إلى عام 1936م، وأدّت إلى اكتشاف وترميم مُعظم مباني وشوارع ومسارح ومدافن المدينة القائمة حتّى الآن، ورُبّما تكون هذه هي الحَعام الوحيدة التي تركها الاحتلال بليبيا، وإن كانوا نهبوا الكثير من الآثار ثم رمّموا الضّريح البونيقي الشّهير العائد للقرنين الثّالث والثاني قبل الميلاد، والذي هو مسلّة شاهقة تُرى مع المسرح من عِدّة كيلومتراتٍ. وإلى جانب مدينة صبراتة الأثرية تقف الآن ثاني المُدن الحديثة بشوارعها وعِماراتها ونخيلها وزيتونها، فأرضها شديدة الخُضرة تمتدّ حتّى دحمان وحرمان شرقًا، وجبار والعجيلات وسوق العلالقة جنوبًا().

***